مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 2 / ديسمبر 2021
ص ص 270–278

ثنائية الأنا والمصير المحتوم في رواية "كامراد" للزيواني: مقاربة تفكيكية للمقدّمة

Duality of the Ego and the Inevitable Fate in the Novel "Kamrad" by Al-Ziwani: A Deconstructive Approach to the Introduction

محمد رضا مغربي
المركز الجامعي علي كافي تندوف (الجزائر)
reda7490@gmail.com

الاستلام:2021/10/27 القبول:2021/12/14 النشر:2021/12/31

ملخص:

تعد الهجرة غير الشرعية ظاهرة إنسانية تمثل تحديًا لحكومات الاتحاد الأوروبي؛ خاصة تلك التي تقابل السواحل الإفريقية أين تنطلق منها كل يوم تقريبا قوارب تقل على متنها عشرات البشر، إنهم المهاجرون غير الشرعيون، تعددت أعراقهم، وديانتهم، ولغاتهم لكن هدفهم واحد هو الفوز بالرسو على الضفة الشمالية أين ينتظرهم الفردوس المفقود. ! تحاول هذه الرواية التي بين أيدينا "كامراد " والمقدمة بالخصوص _ باعتبارها المتن الذي نشتغل عليه في هذه المقاربة_تسليط الضوء على مشهد مؤثر يصور حالة غرق لأحد قوارب الأفارقة الزنوج، ولحظة استذكار دونها أحد الغرقى في ورقة ووضعها داخل قنينة لفظتها أمواج البحر على السواحل الإيطالية.

إنّها ثنائية الأنا والمصير المحتوم كما عبرنا عنها في عنوان الدراسة، وذلك للدلالة على أحلام الأنا الإفريقية التي علقت على قارب الحياة، ولكنه بحتمية القدر الكوني كان قاربا للموت ومصيرا محتوما لسنن الله الكونية التي لا يحيد عنها إلا الشاذ، والشاذ لا يقاس عليه، لحظات نقلتها الرواية في مقدمتها حاولت التعامل معها من منطلق المقاربة التفكيكية، بغية تفكيك ثم إعادة ترتيب المشهد استنادا على ثنائية التناص الخارجي والداخلي.

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ كامراد؛ التفكيكية؛ الزيواني؛ الهجرة غير الشرعية.

Abstract:

Illegal immigration is a humanitarian phenomenon that presents a challenge to European Union governments; Especially those facing the African coasts, from which boats carrying dozens of people depart almost every day. They are illegal immigrants, of various races, religions, and languages, but their goal is one to win anchoring on the northern bank, where the lost paradise awaits them. ! This novel, which we have in our hands, "Kamrad" (Al-Ziwani, 1st 2016) and the introduction in particular - as the text on which we are working in this approach - attempts to shed light on an impressive scene depicting the sinking of a Negro African boat, and a moment of recollection without which one of the drowned wrote on a paper and placed it inside a bottle that was thrown out by waves. The sea on the Italian coast. It is the duality of the ego and the inevitable fate, as we expressed in the title of the study, to indicate the dreams of the African ego that was suspended on the boat of life, but with the inevitability of the cosmic fate it was a boat of death and an inevitable fate for the cosmic laws of God, from which only the abnormal and the abnormal cannot be measured. Moments conveyed by the novel in its introduction tried to deal with it from the standpoint of the deconstructive approach, in order to disassemble and then rearrange the scene based on the duality of external and internal intertextuality.

Keywords: novel; Kamrad; deconstruction; Ziwani; Illegal immigration.

1. مقدمة:

1.1 التعريف بالموضوع من حيث الأهميّة وأسباب الاختيار

الإنسان منذ القديم مولع بالترحال والتجوال في مناكب الأرض، لأسباب متنوعة تخضع لغاية ذلك الإنسان من السفر، سواء للتجارة أو السياحة، أو لتغيير مكان الإقامة ... ومع دخول العالم في عصرنا الحديث إلى نظام دولي مغيار تماما وتمثل ذلك جليا في ترسيم الحدود بين الدول وتشديد الرقابة عليها. أصبح من الصعب تنقل البشر بين تلك الدول؛ ومع تزايد الهوة في المستوى المعيشي بين دول الشمال والجنوب؛ ونقصد بها ههنا إفريقيا وأوروبا، كان لزاما على ساكنة دول الجنوب التنقل للعيش في كنف دول الشمال. فصدّ أحلامهم تلك التأشيرات التي لا تمنح إلا لذوي الأسباب المعلومة بنسبة شحيحة.

مما اضطر تلك الشعوب المقهورة نتيجة تردي الأوضاع المعيشية لأسباب الحروب، أو سوء التسيير للطبقة الحاكمة، إلى البحث عن بديل غير قانوني للهجرة إلى تلك الدول. فما هو هذا البديل؟ وهل كان هذا البديل وسيلة ناجعة وآمنة لدخول الدول الأوروبية؟

هذه الرواية التي بين أيدينا تشخص لنا ذلك البديل _ الهجرة غير الشرعية_ من حيث الأسباب والدوافع، ثم من حيث نجاعة وأمانة تلك الوسيلة.

2.1 خطة البحث، والمنهج المتّبع

اتبعت في تعاملي مع مقدمة هذه الرواية خطة بحثية كالآتي:

1- كتابة النص الأصلي
2- مدخل نظري: قمت فيه بتوطئة منهجية حول ما يناسب من أدوات منهجية لمقاربة المتن المشتغل عليه.
3- مقاربة النصّ تفكيكيا: من خلال مقولة التناص بمصطلحها (الأثر/ الداخلي) (الخارجي/ التأثر).
4- خاتمة

رسالة مهاجر إفريقي غريق تناقلتها وسائط التواصل الاجتماعي

" أنا مترح جدّا يا أمّي؛ لأن القارب غرق بنا عرض البحر.. من يدري؟ ربّما أكون اللحظة في جوف الحوت!! لم أوفّق لبئس بَختي.. فيما منيت النفس به، حيث الجنّة هنالك على ضفّة الألدورادو.. أعرف أنّي تركت خلف ظهري ترسانة ثقيلة من الدّيون على كاهل الأسرة.. تقوّيت بعكازها على ابتزاز سماسرة تهريب البشر في برّ المَوماة المخيف، وبحر المتوسّط المريع.. رجاء إرسال هذه الأخيرة بعد غنيمتي بالفردوس المبين.

استرحمك يا أمّي لا تجزعي.. إن لم يصل رفاتي وأُلحد جنب طَمر أبي وجدّتي بمقبرة القرية مع أختي الكبرى، التي ماتت بوباء الكوليرا، وأخي الأوسط الذي هلك مؤخّرا بالإيبولا !!

أنا متحسّر جدّا يا أمّي، لأنّ العَيْلَة والحروب الأهلية والأوبئة.. دبّروا أمرهم بليل.. شكّلوا حلفا عليّ!! حرّضوني والله.. ألم تعترفي لي ليلة الوداع الأخير معكِ، أنّهم جعلوك تقتنعين أخيرا؟ هذا قدرنا.. كان لابد عليّ أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة، استجداء جنّة الخلد.. تحت شعار يا فطّة كبيرة، كتب عليها (من أجل حياة أفضل..) !!

أحلامي – كما تعلمين- كانت بسيطة.. لا تعدو أن تكون؛ سداد الديون أوّلا، بناء بيت متواضع.. مسقّف بالزنك بدل أعواد شجر العِضاه (الطّلح والأكاسيا)، شراء درّاجة نارية (YAMAHA) أجد في ركوبها، وصولا سريعا للمدينة المجاورة، ابتغاء فتح بوتيكة صغيرة بسوقها الشعبي.

أعتذرُ لكَ أخي الصغير؛ لأني منّيتك بشراء كرة جلدية وقميص رياضي أزرق لفريق (chelsea)

الإنجليزي، يحمل رقم (11) لـ (اللّاعب) الايلاواري (ديدييه دُروگبا).

أرجوكِ يا أختي الصغيرة أن تسامحيني أيضا؛ لأنّي لم أتمكّن من الوفاء بوعدي لكِ في شراء دمية وأخذكِ للتفرّج على عرائس (الگراگوز) بحديقة التسلية في المدينة.

عفوا ياوطن!! كلانا ميّت.. فقط الأسباب متعددة.. أنا غريق وأنت منحور بمُدية حكّامك العسكر.. الذين تشيّخوا في إخراج أفلام الانقلاب !!

شكرا بحرا الروم (المتوسّط) على حسن الضيافة.. زعم الدّجالون أنّك أبيض..توهّم الأفّاكون أن صنويك الأسود والأحمر مَقامهما بالرق هنالك !! لعمري إنّك قَمينٌ بهذين الوصفين الأخيرين صراحة..

أخيرا..

حللتَ أهلا ياغرق..

نزلتِ سهلا يا بَقْبَقَة..

بَقْ..بَقْ..بَقْ....

وداعا أيّها الجنوب البائس..

(الزيواني، كامارد- رفيق الحيف والضياع- رواية، 2016، الصفحات 07-08)

مدخل

نحن في هذا النص أمام حالة من التلقي قد يصطلح عليها بـ" الانفعال العقلي" (الغذامي، 2006 ، صفحة 55) أي أنّ العقل يسعى ليستعير من العاطفة إحدى صفاتها وهي الانفعال، فمن جهة تضمن للنص وجوده الجمالي، كما يعنيها الخطاب العقلي من جهة أخرى. فهذا النص يرتكز وجوده على نحويّة حدث وسياق، وليست نحوية تركيب قول.

لذلك وجب علينا أن نجانس قراءة لهذا النص ترتقي لمادته وما يطمح إليه، فالتلقي الجديد الذي نرومه يؤسّس لقراءة منتجة تضع النص في سياقه المراد له من قبل مبدعه.

ولسبيل تحقيق هذه الغاية كانت وقفتنا مع مصطلحي (الأثر TRAC /التّناص TEXTUALITY) اللّذان يتّخذهما " جاك دريدا J-Drrida" من بين إجراءات البنية التّحتية للمنهج التفكيكي لمقاربة النصوص الإبداعية. (الرويلي و البازعي، 2000، صفحة 111)

قبل أن نعرّج على مفاهيم هذين المصطلحين لابد من الإشارة إلى ثنائية ذات أهميّة انطلق منها دريدا في مشروعه للنقد التفكيكي، وهي **ثنائيّة الكتابة/الصّوت التي يعلي فيها من الكتابة على الصوت.**

فالخوف من الكتابة في التراث البشري_ حسب دريدا_ يتمثّل في كونها تضع صاحبها أمام المساءلة على عكس الصّوت الذي سرعان ما يتبدّد ويتلاشى. فالكتابة تبقى شاهدة على ما حدث: "ما يُخيف في الكتابة هو ما تُحفّز عليه من انتشار للوعي مثلما للعلامات، لا يتسبّب به الكلام المباشر الملتحم حول نفسه". قائلا دريدا (دريدا، 1988، صفحة 33)

فالمتكلّم يسمع صوته وذاته في حال الكلام أي أنّه يتّجه نحو الذّات، والانطواء عليها، وتمنح الكتابة الفرصة للتحرّك نحو الخارج، نحو إسماع الصّوت للآخر، وسماع صوت الآخر، لذلك خشي الكثير من الفلاسفة (سقراط مثلاً) من تدوين أفكارهم ونشاطهم الإبداعيّ "بسبب خشيتهم من قوّتها _الكتابة_ في تدمير الحقيقة الفلسفيّة التي يريدون تقديرها، تلك الحقيقة التي تقوم على الأفكار المجرّدة كالمنطق والأفكار والفرضيّات التي يرون أنّها تُلوّث عندما تُكتب." (إبراهيم، 1990، الصفحات 132-133)

ولذلك آثرنا الوقوف على حقيقة الهجرة غير الشرعية من وثيقة مكتوبة اعتنت بحفظها أمواج البحر العاتية لتكون شاهدا تاريخيا على خطاب

الآخر الذي قُمع صوته لدى المؤسّسة الرسمية _المركز_

الأثر : TRAC التناص TEXTUALITY

رأى دريدا بأن لا قيمة لأيّ علامةٍ في ذاتها، بل تكمن قيمتها ومعناها من العلاقات التي تُقيمها مع العلامات الأخرى، هذا يعني أنّ كلّ عنصرٍ يُحيل إلى عنصرٍ آخر، والعلامة تكتسب هويّتها و دلالتها من لعبة الاختلاف في السيّاق النصّي، وهذه العمليّة التي ترمز إلى فعاليّة الدّال يدعوها دريدا (الأثر)، "لأنّ كلّ عنصرٍ يتأسّس انطلاقاً من الأثر الذي تتركه فيه العناصر الأخرى في السّلسلة أو النّسق." (دريدا، 1988، صفحة 33)

وهكذا تخضع العلاقة إلى نوعين من التّناصّ: داخليّ (الأثر)، وخارجيّ (التّأثر) بالنّصوص الأخرى، ممّا يعني فهماً مزدوجاً لمعنى التّناصّ عند دريدا، وبالتالي يبدو الانفتاح على الماضي والمستقبل السّمة الأساسيّة للنصّ.

والأثر باختصار هو أصداء المعنى التي تحملها العلامات اللّغويّة في رحلةٍ طويلة من الاستعمال الأدبيّ وغير الأدبيّ، ولمّا كان تاريخ كلّ علامة أمرا مجهولا، فالنّصّ يغدو كائنا متعاليا على التّاريخ الرّسمي، إنّه تعدّدي ولا نهائي، دال يتمتّع بخاصيّة الانزلاق في مجرّة المدلولات.

وفي ختام هذا المدخل النّظري نقول: إن النقد التفكيكي لا يفكّك النص ويعيد تركيبه ليبيّن المعنى الكامن في النص فحسب (كما هو الحال مع النقد التقليدي) بل يحاول أن يكشف عن التوترات والتناقضات داخل النص وتعددية المعنى والانفتاح الكامل، بحيث يفقد النص حدوده الثابتة ويصبح جزءاً من النسق الثقافي المهيمن. (شناف، 2021)

يستهلّ المهاجر (كاماراد) رسالته بمفردة" أنا" فهي كلمة تريد أن تثبت وجودَ مهمّش ولو في هنيهة قبل الرحيل، إنّ الأنا هنا تضمر كيانا تناساه المركز في تحديده لمن له الحق في الأنا ولمن ليس أهلا لها، فكأنّ بحر الموت أتاح فرصة العمر لهذا الهالك المسكين للتفوه بكلمة " أنا " أو قل هي ثمرة السفر الشاقّ للبحث عن الأنا الذي طال انتظارها في براري وصحاري إفريقيا.

ثم تتّحد هذه الأنا مع الدوال اللاحقة لتسرد حكايتها الدّرامية حتى لحظة الغرق/الخلاص، ونحن بدورنا سننتخب دوال مميّزة صنعت مشهد الهجرة غير الشرعية مذ بدايتها إلى مسقط رأسها.

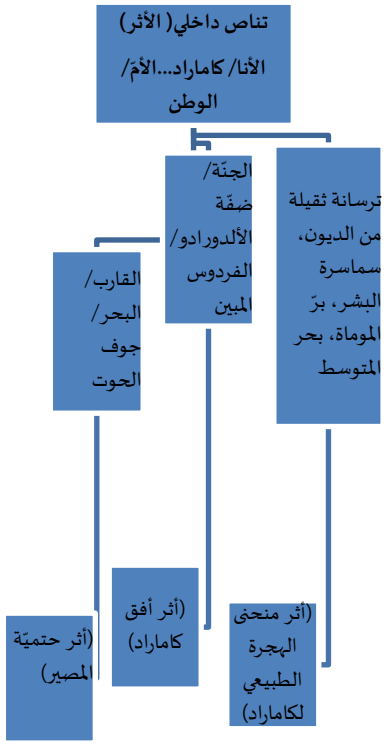

هذه إذا الدوال التي رسمت الأثر الداخلي لهذا المشهد الدرامي الذي يتكون من قطبين (الأنا/ كاماراد) و(الأمّ) فالأنا هي مركز الخطاب، والأم _ المخاطبة_ هي النّار الموقدة له. وبين هذين

القطبين يقوم الراوي باللعب بالدوال في صورة متباينة أفقيا تارة وعموديا تارة أخرى.

فالمقطع الأول الذي يبدأ من (أنا...إلى... الفردوس المبين) تصنع دوالّه التناص الداخلي (الأثر) لمشهد الهجرة وما صاحبه من معاناة اصطدمت بأحلام واهية بان زيفها على قارب الموت.

والمقاطع الموالية التي تبدأ من (استرحمك....إلى...أفلام الانقلاب !!) ترسم التّناص الخارجي (التأثر) بالنصوص الأخرى، وما تلك النّصوص إلّا دوافع ومؤثرات حرّضت كامارد على الهجرة، بل جعلت حياته رهينة هجرة لا مناص منها؛ يستحضر كامارد هذه النصوص في لحظة غرقه/ فوزه بالجنة ليجدّد وفاءه لها ويعتذر إليها في آن واحد رغم أنّها كانت قاسية عليه ولفظته في بحر أبيض اكتشف سواده لحظة هلاكه.

دعونا معا نستنطق هذه النصوص، ونتلمّس عن كتب مدى تأثيرها على المتن المشار إليه آنفا.

مقطع (أسترحمك يا أمّي... بالإيبولا !!)

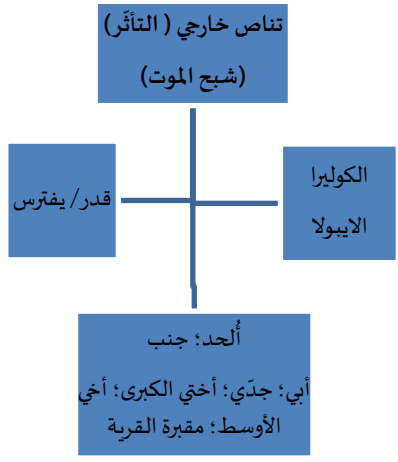

تظهر هذه الدوال المشار إليها في هذا التناص شبحا مخيفا بل قاتلا يترصّد بأسرة كامارد، يفترس الواحد تلو الآخر في مشهد يذكّرنا بأدغال إفريقيا ووحوشها الضارية، لكن مع هذه العائلة الأمر أكثر من ذلك، فالوحش إذا اصطاده الصيادون ذهب من دون رجعة، لكن وحش هؤلاء البؤساء يتقنّع وجوها كلّما اصطادوا له وجها لبس آخر _ الكوليرا...الإيبولا..._

مقطع (أنا متحسّر... حياة أفضل)

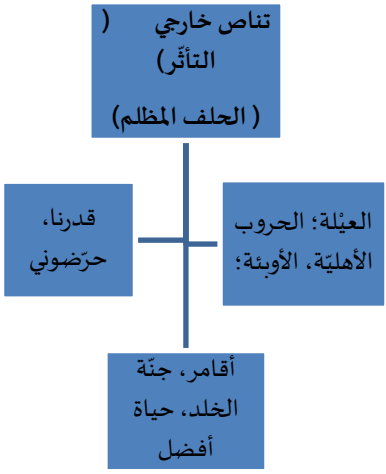

هذه الدوال تشير إلى واقع مرير تتقاسمه عائلة الكامارد مع سكّان القرية، هي حياة اعتادها الأفارقة حتّى أصبحت قدرهم الذي يحرّضهم للبحث عن السعادة وحياة أفضل _ المقامرة_ هناك في جنّة الخلد (أوربا) ثم تفتح الأنا نافذة على نصّ _ بصيص أمل_ كان قادرا على أن يحدث توازنا ولو إلى حين لدى الكامارد وعائلته، وهو ما عبّر عنه في المقاطع الموالية بالحلم.

مقطع (أحلامي.... في المدينة)

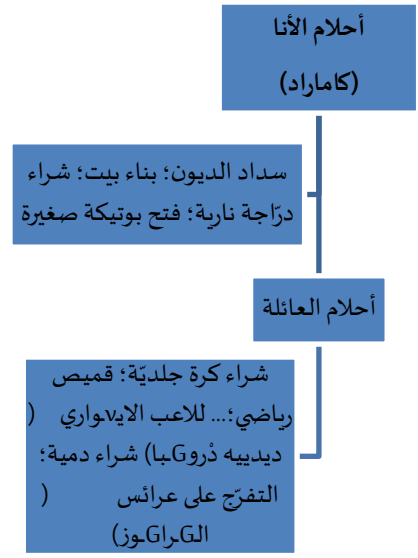

الأحلام هذه تشخّص جليّا الوضع الاجتماعي الذي يعيشه كاماراد وعائلته، فالأحلام المرجوّة التي ابتلعها قارب الموت/السعادة تكاد تكون من مسلّمات عالم القرن الواحد والعشرين، لكنّها مجرّد حلم يراود كاماراد. وإذا تأمّلنا كيف عبّرت الدّوال على حلم الأخ الصغير نجدها تخطّ خلاصا إلى الفردوس تأسيّا بلاعبي كرة القدم الأفارقة المحترفين (دْروGبا) وغيره، فاستثمار اللّعب والرياضات ما هو إلا سبيل للفوز بالجنة الأوروبية.

مقطع (عفوا يا وطن.... أفلام الانقلاب)

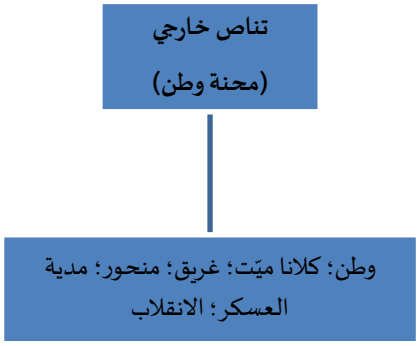

يقف كاماراد على أطلال وطن، أضحى جثة هامدة يقدّم لدويها العزاء، كحاله تماما بعد انتشاله جثّة على السواحل الإيطالية، فلننظر إلى هذا التماثل العجيب الذي جرت به المقادير، وكأنّ مصير الوطن البائس ظلّ طيفا يلاحق أبناءه أينما حلّوا وحيثما ارتحلوا، حتى في عرض البحر لم ينج قارب الأفارقة من الانقلاب على من فيه، فكأنّ العسكر في حلف مع أمواج البحر، هم ينقلبوا على مقدّرات الوطن، والأمواج تنقلب على أبناء الوطن الفارّين من قبضة هؤلاء الجلّادين _مسكين أنت يا كامراد؛ فلعنة الانقلابات تطاردكم في كل مكان_!!

مقطع (شكرا.... صراحة)

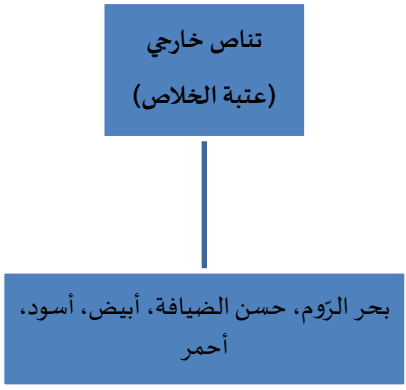

هذا المقطع _ بدوالّه هذه_ يصف دار الضيافة التي تقلّ وافديها إلى جنّة الفردوس، وهي المحطّة الأخيرة في سبيل الخلاص. فما أوصاف هذه الدّار؟ وهل فعلا وجدها كاماراد كما توقّع وظنّ؟

إنّ لدلالات بحر الرّوم وقع على النّفس الافريقية، فصفة الرومان ظلّت ملازمة له في ذهن كاماراد لأنّ هذا البحر هو الذي مدّ يد العون للرومان وخلَفِهم ليستعبدوا آباءه الأوّلين ويثبّتوا مرتزقته المعاصرين لحكم البلاد والعباد. إنّه بحر عميل !! تحّل على ظهره خيرات إفريقيا إلى بلاد الرّوم دون مقابل؛ فلا ينقلب! وتُستأجَر قواربه

في سبيل كرامة عيش؛ فينقلب عليهم غادرا بهم في عرض البحر!

فكيف ببحر هكذا أوصافه أن يعرف للضيافة واجبا؟! ربّما يحنّ هذه المرّة _فهو أبيض متوسّط! _ تجول على سطحه سفن الدول الأوربية الراعية لمبادئ حقوق الانسان وكرامته. قد يستحي لأنّ أنظار العالم اليوم ليست كالأمس! اطمأنّ كامراد وزملاؤه وركبوا بحرا أبيضا، أملهم فيه هذه المرّة كبير، لعلّه يُسدي معروفا _ رغم تقاضيه أجرة!_ لكن سرعان ما عاد لغيّه فغيّر لونه، واختار أقتم وأبشع الألوان (الأسود) ليفعل ما يحلو له؛ ليتفرّد بالقارب في عتمة وغلس؛ ليخيف ويرعب؛ فلربّما هو لون ابتاعه من الجنرالات السود لعهدهم به _كامراد ومن في القارب_.

ثم سرعان ما يتغيّر اللّون فجأة إلى الأحمر ليبين أن الضحيّة قد افتُرست فتغيّر لون البحر إلى حمرة دمٍ بريء غُدر به في لجّة بحر مضياف !! أخيرا إنّها لحظة الفراق؛ أو جنّة الفردوس !!

المقطع الأخير (أخيرا... الجنوب البائس)

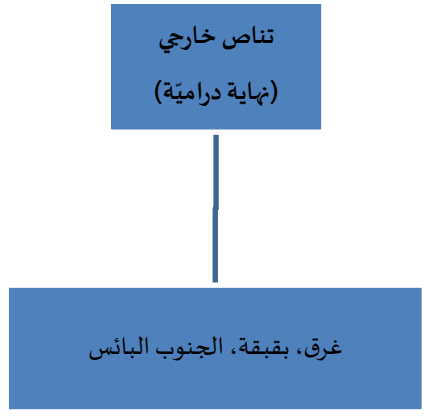

ينقل لنا الرّوائي في هذا المقطع الأخير مشهدا مأساويا يغلب عليه أسلوب السخرية والتهكّم، (حللتَ أهلا يا غرق....) المستعمل من طرف كامراد الغريق، وهذا خلاف ما نلفيه لدى أيّ غريق لحظة غرقه. فما السرّ إذا؟

لفكّ بعض ألغاز هذا السرّ لابدّ من القهقرة إلى المقطع الثالث لنجد الجواب.

" أنا متحسّر جدّا يا أمّي، لأنّ العَيْلَة والحروب الأهلية والأوبئة.. دبّروا أمرهم بليل.. شكّلوا حلفا عليّ !! حرّضوني والله.. ألم تعترفي لي ليلة الوداع الأخير معكِ، أنّهم جعلوك تقتنعين أخيرا؟ هذا قدرنا.. كان لابد عليّ أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة، استجداء جنّة الخلد.. تحت شعار يا فطّة كبيرة، كتب علينا (من أجل حياة أفضل..) !! "

حلف كاماراد _ العيلة؛ الحروب الأهلية؛ الأوبئة_ المظلم أقنعوا أمّه ومن قبل هو وجيله من الأفارقة أنّ هذا الوضع الأليم قدَرهم لا يُردّ إلا بقدر مماثل وطبيعي في نفس الوقت؛ وهو (المقامرة في ركوب قارب الموت؛ استجداء جنّة الخلد) وكلّنا يعلم بأنّ المقامرة مجهولة الثمرة؛ وغالب الظنّ فيها الخسارة، لذلك نجد كاماراد في أعلى معنوياته لاستقبال نتيجة هذه المقامرة؛ فكأنّ ريقه أثناء الغرق والموت جعلت بين ماء البحر وكلامه الأخير برزخا آمنا يقول من خلاله ما شاء بأريحيّة الفائز بجنّة الخلد؛ أو ربّما هو وسام يمنحه بحر الضيافة لمحارب عزّ عليه إهلاكه لو لا أنّه مأمور.

ثم حينما نلحظ شكل المقطع الأخير العمودي _ السطر تلو الآخر _ فهي حالة تشبه تماما نزول الغريق إلى قاع البحر.

تحكي هذه الأسطر المتتالية فداء قلّ نظيره، وشجاعة عند الموت نذر مثيلها. حوار الأنا مع جلّادها (الكامراد# الغرق) حوار المستسلم والمنتصر في آن واحد.

(ترحاب؛ بقبقة؛ ثم وداع) هي كلمات من شيم أهل الجنوب استحضرها كاماراد في هذه اللحظات لعلّ البحر _الغادر! _يتعلّم درسا فيكرم ضيوفا سيحلّون على ظهره بعده.

وإذا تأمّلنا السطر الرابع (بَقْ.. بَقْ.. بَقْ....) لوجدناه يحكي قصّة حياة كاماراد ذات المحطّات

الثلاث (الجنوب البائس وحلم الهجرة... طريق الهجرة المجهول... غرق على قارب الموت) وما تلك النقاط الفاصلة إلّا أحداث مسكوت عنها تجرّع مرارتها كاماراد في محطّاته تلك.

وفي آخر سطر من هذه الملحمة الدراميّة يظلّ كاماراد وفيّا لوطنه كما كان وفيّا لأمّه في بداية الرسالة لأنّه على أتمّ الوعي بأنّ الوطن/الأمّ هو من يتلقّ العزاء في مصابه، لأنّه يفقد كل يوم ثروة بشريّة كان الأجدى أن تستثمر في بنائه ونهضته، لا أن تقدّم قرابين في قوارب موت يبتلعها بحر الرّوم المضياف !!

خاتمة:

يمكن استنتاج بعض الملاحظات التي نراها ذات قيمة معرفية من خلال مقاربتنا هذه نسردها كالآتي:

- المقاربة ذات البعد التفكيكي أعطت للنص حيويته من حيث تبيانها المخبوء من الكلام وسياقه الثقافي.
- نجاعة المنهج التفكيكي وخاصة آلية التناص التي فتّقت النص وفتحت له آفاقا رحبة في التأويل.
- الهجرة غير الشرعية كما صوّرها الروائي تندرج ضمن خطاب الهامش الذي لا يتأتى معرفته إلا من خلال مقاربة ثقافية تولي للمهمش دوره المحوري في معالجة قضايا عالم مابعد الكولونيالية، وأراني من خلال مقاربتي وفقت إلى حدّ ما للوقوف على هذه الزاوية.

عادة ما تصاغ الخواتيم على نمط متعارف عليه أكاديميّا وهو سرد النتائج المتوصّل إليها من البحث؛ وهذا ما حاولت الإشارة إليه آنفا، وبما أنّ بحثنا هذا عبارة عن مقاربة لنص روائي متنه حدث حقيقي، فالنتائج التي لم أشر إليها يمكن للقارئ تتبّعها عبر محطات الدراسة، أما خاتمة القول فآثرت أن تكون تعليقا على مغزى رسالة كاماراد الغريق، ومحلّها ضمن ما يُروّج له في الخطاب السياسي الدولي "مكافحة الهجرة غير الشرعية"

تمثّل هذه الرسالة التي قمت بمقاربتها تفكيكيّا، شاهدا ومصدرا تاريخيّا لظاهرة قلّ نظيرها في تاريخ البشرية (الهجرة غير الشرعية) تضع أناملنا على مكمن الدّاء وعلّة هذه الهجرة المجهولة المصير، والتي أصبحت تشكّل عبئا ووصمة عار على عالم القرن الواحد والعشرين؛ الذي يتغنّى بحقوق الإنسان، فللهجرة أسباب منطقية تسردها كلمات هذه الرسالة المعبّرة، ولمن أراد حلّا لهذه الظاهرة فعليه أن ينظر جليّا في هذه الأسباب، لا أن يعقد المؤتمر تلو الآخر لزيادة نقاط الحراسة على بحر الروم، أو التشديد في رقابة الحدود على البرّ، قد تكون هذه الحلول ناجعة مع ظاهرة التهريب أو غيرها، لكن مع ظاهرة "كاماراد" لا سبيل إلّا للعودة هناك إلى الدول الإفريقية ووضع حلّ نهائي للحلف الذي أشارت إليه الرسالة في مقطعها الثالث (العَيْلَة والحروب الأهلية والأوبئة)

وهنا بيت القصيد الذي تحيد عنه دول (5+1) حسب لغة الدّول المصنّعة _ لا لشيء إلاّ لأن الوضع المأساوي الذي أشارت إليه الرسالة _ خصوصا المقطع الثالث والسابع_ يناسبها على أصعدة مختلفة، ويكرّس مبدأ التبعيّة التي يريدها الغرب، وما الحرب التي شنّتها فرنسا على مالي سنة 2013 منّا ببعيد على هذا المشهد، فبتدخلّها أرادت أن تجعل حدّا للإرهاب _ على حدّ زعمها_ لكن حقيقة الأمر أنّها أحسّت بخروج مالي ومقدّراتها من يدها. علما أنّ إحصائيات هيئات الأمم المتّحدة تعطي أرقاما هائلة لأفراد الهجرة غير الشرعية بعد 2013 من مالي ودول الساحل الإفريقي بسبب هذه الحملة وما نتج عنها من فوضى ونزوح.

كفانا إذا نفاقا وكذبا على التاريخ فهذه وثيقة "رسالة الغريق" شاهد على أسباب الهجرة وظروفها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

"تواطئ البشر لطمس حقيقة الظاهرة، وتكفُّل الموج بحفظها وكشفها للتاريخ."

قائمة المراجع:

إبراهيم. (1990). *معرفة الآخر*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

البازعي، الرويلي،(ط2 2000.). *دليل الناقد الأدبي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

الزيواني. (ط1 2016). *كامارد- رفيق الحيف والضياع- رواية*. عمان الأردن: دار فضاءات.

الغذامي. (2006). *تشريح النص* . الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

شناف ,ش .(2021-08-10) .تفكيك الأنظمة المعرفية للعقل السيميائي الغربي ..قراءة في ضوء أطروحة "عبد الوهاب المسيري ." *الرابطة المحمدية للعلماء -المغرب*.

دريدا. (1988). *الكتابة والاختلاف*. الدار البيضاء: دار توبقال.